هل سمعت سابقاً بمصطلح "الحرية المالية" أو "الاستقلالية المالية"؟! للوهلة الأولى تنجذب للمعنى الضخم الذي تتخيله للمصلح... وينصرف عقلك للتفكير في تحقيق الوفرة المالية أو الحرية المالية التي تتمتع بها بعض الدول المتقدمة.. ولكن ليس هذا المعنى الحرفي لها...

عزيزي القارئ أنسى كل شيء قرأته سابقاً عن الحرية المالية... أنسى كل الكتب والمقالات التي تستفيض بشرح أشياء لن تفهمها أبداً... أما عن المقال الذي بين يديك الآن فهو كل ما تحتاجه أنت لفهم الحرية المالية وكيفية تحقيقها، كما أنه خلاصة بحثي ودراستي لألخص لك عزيزي القارئ كل المفاهيم التي ما زلت ترسم إشارات الاستفهام حولها.

قبل أن نبدأ بشرح مفهوم الحرية المالية وكيفية تحقيقه سأصحبك بجولة مثيرة بين كلماتي لنفهم سويةً تاريخ الأموال والمعاملات المالية.

المعاملات المالية عبر التاريخ:

قديماً لم تكن موجودة طابعات الأوراق النقدية، وأقصد قديماً أي منذ آلاف السنوات. كانت المعاملات المالية بين الأفراد إما عن طريق المقايضة أو عن طريق تقديم شيء يعتبر نادر الوجود. بالنسبة للمقايضة فهي أمر ليس عصي على الفهم فكلنا قد نكون تقايضنا مع أصدقائنا على لعبة او كرة لعب أو أي شيء آخر. الناس في تلك الحقبة من الزمن كان يقايضون المحاصيل الزراعية مثلاً كأن أعطيك تمراً وتعطيني قمح وأمثلة كثيرة غيرها. لكن ما يهمنا فعلاً هنا هو الشق الثاني من المعاملات المالية، الأشياء النادرة. عند ذكر الأشياء النادرة يتبادر إلى أذهاننا مباشرة الذهب. نعم الذهب يعتبر من أندر الأشياء وجوداً منذ بداية البشرية وحتى الآن، ولكن رغم ندرته لم يكن الشيء النادر الوحيد، فسمعت إحدى المرات أن المكسيكيين قبل مئات السنين كانوا يتعاملون بحبات القهوة. تخيل عزيزي القارئ –يرعاك الله- كانت عملتهم الرسمية هي حبة القهوة.

أعلم بأني أتيت على ذكر الذهب ثمّ تجاوزته ولكن مؤقتاً فقط سأكمل الحديث عنه في الفقرة القادمة. ستقول وما علاقة الذهب بالحرية المالية؟! سأكتفي بجواب متواضع "كل شيء مرتبط".

العملة الدائمة:

إذا سألتك عند ذكر كلمة ذهب ما الشيء الذي يخطر في بالك؟! ستكون الإجابة حتما "الدولار". نعم، فعند قيام الدولة الأمريكية قرر الرئيس ان يربط الذهب بالدولار أي أنه طبع دولارات بقيمة الذهب. كانت كل أونصة ذهب تساوي 16 دولار، ودام ذلك الارتباط حتى الحرب الفيتنامية. نفذت الخزينة الأمريكية ولم تستطع تمويل الحرب ففك الرئيس نيكسن الارتباط الوثيق بين الدولار والذهب ليستطيع طباعة أوراق نقدية كافية لتمويل الحرب.

ماذا نستفيد من تلك القصة؟! سؤال بديهي يطرح نفسه!! لعل الفائدة منها لندرك الأهمية الفعلية للذهب. كان الذهب عملة في السابق بين الناس وخاصة عند الفراعنة، فكانوا يشترون الملابس والقمح والمحاصيل الزراعية بالذهب، فالذهب حافظ على قيمته على مر العصور مما منحني الشجاعة لأسميه العملة الدائمة.

بالعودة إلى قصة ربط أمريكا الذهب بالدولار، تخيل عزيزي القارئ أن الشيء الذي كانت أونصتين من الذهب قادرتين على شرائه أي ما يعادل 32 دولار هو ذات الشيء الذي ستشتريه الآن بأكثر من أربعة آلاف دولار، ولكن بقي ثمنه أونصتين من الذهب.

الآن بعد حديثنا عن المعاملات المالية والعملات عبر التاريخ تعال لنتعرف على الحرية المالية وكيفية تحقيقها، وتذكر أن كل ما ذكرناه أعلاه سيشكل لديك ثقافة استثمارية لتحقيق الحرية المالية أو الاستقلال المالي.

مفهوم الحرية المالية:

سنقسم الشرح إلى ثلاثة أقسام. في القسم الأول سنناقش الأفكار الخاطئة، وفي القسم الثاني سنصحح تلك الأفكار، وفي القسم الثالث سنشرح ببساطة معنى الحرية المالية:

1. **مفاهيم مغلوطة:** يعتقد البعض أنه يحتاج الكثير من الأموال ليحقق الاستقلال المالي. أي يجب أن تكون أرصدته في البنوك تتجاوز عشرات الملايين ليحقق الحرية المالية. وهذا خاطئ، والبعض يربط الاستقلال المالي بالعمل الخاص حتى لو كان هذا العمل لا يغطي نفقاته السنوية، والبعض يعتقد أن الحرية المالية أمر صعب جداً وبعيد المنال.
2. **لماذا خاطئة:** كل ما ذكرته في الأعلى هي أفكار خاطئة. يحق لأولئك الأشخاص أن يفكروا بهذه الطريقة مادام لم يأتيهم شخص ليبسط الفكرة لهم. نعم يقولون إنك لتحقق الحرية المالية يجب أن تكون غني ولكن هذا غير صحيح فلنفرض مثلاً أن لديك ملايين الدولارات وتصرف من تلك الدولارات -دون مصدر جديد للدخل- وتمر الأيام وانت تصرف، سيأتي يوم تنتهي تلك الأوراق النقدية وستجد نفسك لم تجني سوى الهزيمة. لم تصل إلى شيء.
وحتى العمل الخاص الذي لا يغطي النفقات السنوية لا يحقق الحرية المالية بل سيجعلك مدين للكثير من الأشخاص والجهات لتغطي على قسم النفقات الذي لا يغطيه عملك الخاص.
هل الحرية المالية أمر صعب وبعيد المنال؟! كلا. الأمر بسيط ولكن يحتاج لبعض الأموال لتستثمرها، وهنا نقول بعض الأموال وليس الملايين!!
3. **تعريف الحرية المالية:** عملياً... ليس للحرية المالية تعريف محدد بعينه، ولكن سنبسطها بمثال بسيط جداً جداً.
تخيل أن لديك مشروع قد يكون مشروع صغير وليس بالضرورة أن يكون مشروع كبير وضخم، وهذا المشروع يعود عليك بمبالغ مالية سنوياً، وأن نفقاتك السنوية لا تتجازر ربع (مثلاً) أرباح ذلك المشروع. هنيئاً لك... انت بذلك تكون قد حققت الحرية المالية.
أخبرتك انها خطوات بسيطة جداً. وللملاحظة فقط في الأعلى وضعت كلمة مثلا بين قوسين بعد كلمة ربع، وهذا لأني لا أقصد الربع بعينه، فيكفي جزء أن تكون نفقاتك هي جزء من الأرباح. أي بمعنى أدق ان أرباح ذلك المشروع تغطي نفقاتك وتزيد.

كيف تحقق الحرية المالية:

استناداً على ما ذكر أعلاه في تعريف الحرية المالية، فكل ما عليك هو ان تستثمر أموالك في مشروع يدر عليك الأرباح بحيث تغطي نفقاتك وتزيد.

قد يسأل بعضكم بماذا قد أستثمر؟! لأكون صرح معك فأفضل طريقة للاستثمار هي العقارات. اشتري شقة أو اثنتين أو ثلاثة حسب أموالك، وقم بتأجير تلك الشقق.

الاستثمار في العقارات هو استثمار مربح نوعاً ما ومفيد على المدى الطويل، فيكون لديك دخل من تلك الشقق وأنت في المنزل. بعض الناس تشتري مخازن كبيرة وتأجرها أيضاً مشروع مربح. دائماً فكر بالمشروع الذي يغطي نفقاتك ويزيد واعتمده. أطلق عقلك للتفكير خارج الصندوق دائماً.

هل الادخار يحقق الحرية المالية؟!

كلا. لا يحقق الادخار الحرية المالية، وهنا تكمن القيمة الحقيقية للجولة التي تحدثنا عنها سابقاً في تاريخ العملات والمعاملات المالية. لعلك لاحظت كيف تغيرت قيمة العملات عبر التاريخ وبعضها أندثر نهائياً. فلذلك لا تعول كثيراً على ادخار الأموال، وتذكر وهذه نصيحة ثمينة إذا أردت الادخار فادخر ذهباً. الذهب هو العملة الوحيدة التي لم ولن تفقد قيمتها لأنها أيضاً العملة الوحيدة التي تعتبر محل ثقة.

الهدف من الحرية المالية: الهدف الحقيقي من تحقيق الحرية المالية هي القيام باستثمارات آمنة تغطي نفقاتك وتلبي احتياجاتك طيلة فترة حياتك. وتذكر أن أكثر أنواع الاستثمارات أماناً هي الاستثمارات العقارية وهذا ما ناقشناه سابقاً مع الأمثلة اللازمة لتوضيح طريقة تحقيق الحرية المالية عن طريق الاستثمار.

وفي الختام عزيزي القارئ. هل فهمت معنى مصطلح "الحرية المالية"؟! وهل وجدت مشروعك الاستثماري لتحقيق الحرية المالية؟!

خضر علي شيحه

كُتِبَ هذا المقال لمدونة مواضيع

2020/9/24م

4:36 مساءً